الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني

من وضع الميثاق الوطني؟
وماذا كان يحتوي؟

في القسم الاول من "الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني" عالج الدكتور باسم الجسر تاريخ النضال من أجل الاستقلال ومحاولات فرنسا لعرقلته ثم لاستبداله بمعاهدة مع سوريا ولبنان. وفي هذا القسم يعالج موضوع الميثاق الوطني والتعايش بين المسلمين والمسيحيين ثم المحاولات المختلفة لتفسيره واعادة عجلة البلد الى الوراء... ليخلص الى احدى صور هذه المحاولات وهي الحرب المستمرة في لبنان منذ عام ١٩٧٥.

د. باسم الجسر

ان فكرة ايجاد ميثاق وطني بين اللبنانيين يساعدهم على تجاوز التناقض الوطني والطائفي الذي قام بعد اعلان دولة لبنان الكبير (١٩٢٠)، بدأت تظهر منذ السنوات الاولى التي تلت قيام الميثاق الجديد، ولكنها لم تبدأ تبلورها إلا في الثلاثينات، ولم تبين معالمها إلا بعد ١٩٣٦.

ذلك أن انقسام اللبنانيين الى فريقين وطنيين - سياسيين - طائفيين، احدهما "كياني - لبناني" - مسيحي - مؤيد للانتداب والثاني "كياني - عربي" - مسلم - رافض للانتداب، لم يكن أمراً طبيعياً أو منطقياً بالنسبة لشعب واحد يعيش في ظل دولة موحدة ويشترك ممثلوه في مجلس نيابي واحد وحكومة وادارة واحدة..

من هنا كان عدد الوطنيين من سياسيين ومثقفين من الذين يرفضون هذا التناقض، يزداد يوماً بعد يوم، وتبرز محاولات دائمة، حزبية او انتخابية او نقابية أو فكرية، هدفها تجاوز الانقسام الطائفي والتضاد الوطني.

من ابرز تلك المحاولات التي جرت بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٤٣ نشوء احزاب عقائدية: (الحزب القومي، الشيوعي) حزب الاستقلال الديمقراطي ومنها محاولة انتخاب مسلم - هو الشيخ محمد الجسر - رئيساً للجمهورية اللبنانية (١٩٣٢) ومنها ثورة البطريرك عريضة على الانتداب الفرنسي وتزعمه لحركة مقاومة الاحتكارات الاجنبية ومنها بروز صحافة وطنية مستقلة عن الطائفية (الاحرار، المعرض).

إلا ان الاسباب الحقيقية التي ساعدت على تعجيل بروز الصيغة الوطنية المؤلفة من التناقضات، كانت تتعلق بمصير الكيان اللبناني بعد ان اقتنعت فرنسا باستبدال الانتداب بمعاهدة صداقة تعقد بينها وبين كل من سوريا ولبنان.

فالمسلمون في لبنان أدركوا ان اتفاق الحركة الوطنية في سوريا مع فرنسا على بلوغ الاستقلال سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسيحيين والفرنسيين في لبنان، ولذلك فان بلوغ الاستقلال كان يتطلب الاتفاق مع المسيحيين.

كذلك المسيحيون، بدورهم، ادركوا ان انتهاء الانتداب في سوريا ولبنان سوف يتركهم وجهاً لوجه مع المسلمين، ولذلك فان تدعيم الكيان اللبناني لا بد له من اعتراف المسلمين اللبنانيين والحركة الوطنية السورية به.

ثم ان الاخطاء التي ارتكبتها السلطات الفرنسية المنتدبة كتعليقها للدستور اللبناني وكتسلط موظفيها وكمنحها للامتيازات الاقتصادية الاحتكارية، كل ذلك ادى الى نمو الحركات الوطنية المناهضة للانتداب وبالتالي الى قيام عدة محاولات سياسية وفكرية وعقائدية للتقريب بين المسلمين والمسيحيين من جهة وبين "اللبنانيين" و"العروبيين" من جهة ثانية.

وكانت أبرز المحاولات الفكرية تلك التي قام بها كاظم الصلح، إثر انعقاد مؤتمر الساحل في دار آل سلام في بيروت عام ١٩٣٦، ولخصها اصدقاؤه في كتيب بعنوان "بين الانفصال والاتصال". فلاول مرة ارتفع صوت من صف المسلمين العروبيين في لبنان يقول بأن الاستقلال يجب أن يتقدم على الوحدة وأن الاعتراف بكيان لبناني مستقل، شرط ارتباطه بالعروبة، هو خير من رفض الكيان وابعاد المسيحيين عن العروبة.

ثمة محاولة فكرية ثانية قام بها يوسف السودا وشاركه فيها عدد من الشباب المثقف من بينهم تقي الدين الصلح ونصري المعلوف والدكتور أدريس إذ اصدروا بعد اجتماعات استغرقت عدة اشهر بياناً سمي "بالميثاق الوطني" يتضمن الخطوط الكبرى لصيغة وطنية جديدة تدور حول مبدأين أساسيين هما: استقلال لبنان والاعتراف بكيانه من جهة وتعاونه مع محيطه العربي من جهة ثانية.

واكبر دليل على ان هذه الصيغة الوطنية كانت "في الاجواء" منذ عام ١٩٣٨، ان المؤتمر الوطني الذي اعد في بكركي يوم عيد الميلاد ١٩٤٢ واشترك فيه عدد كبير من السياسيين والزعماء من مختلف الطوائف، قد انتهى باصدار بيان يؤكد فيه على تلك المبادىء التي سبق لميثاق يوسف السودا ورفاقه ولبيان كاظم الصلح ان اشارا إليها..

الصيغة وترجمتها

لا شك ان بشارة الخوري ورياض الصلح كانا مطلعين ومتقبلين لاسس هذه الصيغة عند وصولهما الى الحكم. ولكن كيف تم لقاؤهما وكان اتفاقهما على ترجمة هذه الصيغة إلى مواقف وافعال وسياسة وحكم.

لم يكن رياض الصلح شديد الحماس لانتخاب بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. ولعل السبب يعود الى الصداقة الشخصية التي كانت تربطه باميل اده. ولكن زعماء الكتلة الوطنية في سوريا والدبلوماسية البريطانية وفوز اللوائح الانتخابية المدعومة منهما، ما لبثت ان اقنعته بتأييده.

يقول الجنرال كاترو في كتابه "في معركة المتوسط" ان انتخاب الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية، كان ثمرة اتفاقه مع الوطنيين السوريين والعرب، لا نتيجة "لاتفاقه مع الزعماء المسلمين في لبنان".

ويقول كاظم الصلح في حديث اجرته معه جريدة "النهار" في "العدد الخاص الصادر في نهاية عام ١٩٧٤"، ان الاجتماع الاول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح عقد في مكاتب جريدة "النداء" التي كان يديرها وذلك عشية انتخاب

الدكتور باسم الجسر:
دكتور في الحقوق من جامعة باريس (والسوربون)، - محام في الاستئناف في بيروت - استاذ القانون الدستوري وقانون الاعلام في كليتي الاعلام وادارة الاعمال في الجامعة اللبنانية (١٩٧٠ - ١٩٧٤).



الشيخ بشاره الخوري يخطب من على شرفة قصر الرئاسة في القنطاري

الشيخ بشارة الخوري لرئاسة الجمهورية. وفي هذا الاجتماع تم الاتفاق على الخطوط الكبرى لما سمي، في ما بعد، بالميثاق الوطني.

أما المؤرخ يوسف إبراهيم يزبك، فانه روى قصة لقاء الرجلين في مقال نشرته مجلة "الاسبوع العربي" عام ١٩٥٩ ووافق عليه الشيخ بشارة الخوري قبل نشره، ولا ريب في ان ما جاء في مقال المؤرخ يزبك يعبر اكثر من أي مرجع آخر عن الروح التي سادت الجو الذي سبق ولادة الإستقلال، يقول يوسف يزبك: عقد اجتماع اول بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح في عاليه، خلال صيف ١٩٤٣، بدأه الشيخ بشاره الخوري بقوله:

"أنت يا رياض، تجاهد منذ ثلاثين سنة في سبيل القضية العربية، ولكنك لم تتنكر لوطنك الصغير لبنان، فلقد آمنت بوجوده وكنت فخوراً بالانتماء إليه، وبالدور الذي قام به في خدمة القضية العربية ايام العثمانيين، ولقد صرّحت مراراً بان لبنان قادر أن يصبح وطناً عربياً مستقلاً، له طابعه الخاص، يتمتع المسيحيون فيه بالحرية والاطمئنان والكرامة، واعرف انك قادر، مع رفاق جهادك ان تكتبوا صفحة جديدة من حياتنا الوطنية تمحو الصفحة التي أراد الاجنبي ان يفرضها علينا. فما رأيك في اتفاق بيننا على مبادىء أساسية واضحة ترضي الجميع وتطبق على كل اللبنانيين، وتتفق مع النهضة العربية التي نصبو اليها جميعاً" فأجاب رياض الصلح قائلا:

" ـ ان نضالي من اجل القضية العربية كان نضالا من اجل لبنان ايضاً، وانت تعرف ان بعض رفاق جهادي قد انتقدوني من اجل بعض المواقف واتهموني بان سياستي هي لبنانية واقليمية، ولقد اجبتهم آنذاك بأن من يعمل لحرية لبنان يعمل لحرية العرب كما ان من يناضل من اجل القضية العربية يناضل من اجل لبنان، كنت أنت اول من صفق للخطاب الذي القيته وجاء فيه قولي: "افضل ان اكون مواطناً مستقلا من كفرذبيان على أن اكون مواطناً في امبراطورية عربية يحكمها الاستعمار".

"هذا موقفي الذي لم يتغير وآنا سعيد بأن اسمع زعيماً مسيحياً، واعياً لمسؤولياته ومحترماً، كالشيخ بشاره الخوري يوافق على قولي بأن لبنان هو وطن عربي له وضعه الخاص، فهذه يدي امدها واعطني يدك لنتفق".

وهنا طرح الشيخ بشاره الخوري السؤال التالي:

"هل تعتقد يا رياض، ان اتفاقنا يمكن ان يحظى بتأييد المسلمين في لبنان فيعتبروا لبنان وطناً نهائياً لهم لا مرحلة انتقالية؟ هل تعتقد بأنهم لن يتطلعوا من جديد نحو دمشق ليروا فيها محط آمالهم وأمانيهم؟"

وقاطعه رياض الصلح قائلا:

ـ "اذا كان اتفاقنا واضحاً وصريحاً وشريفاً وبدون غبن لاحق بأحد، وضامناً لكرامة المسلمين والمسيحيين معاً ومحترماً لمشاعر الفريقين وموزعاً الحقوق بين الجميع بالمساواة، أي إذا كان النظام الذي نسعى إليه يضمن العدل للمسلمين فانني لا أتعهد بتأييد المسلمين في لبنان له فحسب، بل باقناع كل الحكام العرب ولاسيما السوريين، بالاعتراف باستقلال لبنان وبحدوده الراهنة، اعترافاً أبدياً، وهكذا نطوي صفحة الماضي المرير، ونضع حداً لمعزوفة "الام الحنون" والانضمام الى سوريا وندشن عهداً جديداً من الوطنية".

ويقول يوسف يزبك: ان مضمون هذا الحوار لم يبق سراً، بل اطلع عليه كل رفاق الرجلين، ولاسيما رجال الحركة الوطنية في سوريا (شكري القوتلي، سعد الله الجابري، وجميل مردم) كذلك زعماء المسلمين في لبنان (عمر بيهم، عبد الحميد كرامي وأبو علي سلام).

ثمة اجتماع آخر عقد بين الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ـ بعد انتخاب الاول لرئاسة الجمهورية وتأليف الثاني للحكومة. يروي يوسف يزبك تفاصيله فيقول: خلال هذا الاجتماع الثاني تم الاتفاق على المبادىء الاساسية لما سمي بالميثاق الوطني وأهمها:

"١ ـ ان لبنان جمهورية مستقلة ـ سيدة، لا ترتبط

بأي معاهدة أو اتفاق مع اي دولة اجنبية.

٢ - لبنان ذو وجه عربي لغته هي اللغة العربية، وهو جزء لا يتجزأ من العالم العربي. ولكن له وضعه الخاص. كما ان عروبته لا تلزمه بقطع علاقاته الثقافية والحضارية مع الغرب.

٣ - يجب توزيع الوظائف العامة بالعدل والتساوي بين الطوائف".

ويعلق يوسف يزبك على ذلك بقوله: ان هذه المبادىء تفترض، ضمناً، ان يتخلى المسيحيون عن مطلب الحماية من الغرب وبنوع خاص من فرنسا وعلى ان يتخلى المسلمون عن مطلب الانضمام الى كيان سياسي عربي.

ويختتم يزبك مقاله بقوله: لقد عرضت هذه الوقائع قبل نشرها على الشيخ بشاره الخوري، فقرأها ووافق عليها واضاف عليها ما يلي:

" - أريد ان اضيف عليها أن الغاية من هذا الاتفاق كانت:

- بلوغ الاستقلال التام والناجز للبنان، عن الشرق والغرب.

- لا حماية ولا وصاية ولا امتيازاً ولا مركزاً ممتازاً لمصلحة اي دولة.

" - التعاون الى اقصى حدود التعاون مع الدول العربية.

- الصداقة مع كل الدول التي تعترف باستقلالنا وتحترمه".

واضاف الشيخ بشاره:

" - ان الميثاق الوطني لم يكن مجرد مصالحة بين طائفتين فحسب، بل انه صهر عقيدتين في واحدة. عقيدة اولى كانت تدعو الى دمج لبنان في كيان وطني اكبر، وثانية كانت تؤمن بضرورة ابقاء هذا الكيان محمياً من الغرب. جاء الميثاق ليلغي هذين الاتجاهين بالتفهم والتفاهم، وليحل محلهما عقيدة واحدة، وطنية لبنانية،"

وختم الشيخ بشاره الخوري حديثه قائلاً:

" - حتى اذا افترضنا ان الميثاق الوطني كان تسوية بين طائفتين أو بين بيئتين، أو بين الطوائف اللبنانية، فكيف يمكن تجاوزه قبل ان نجد صيغة جديدة للتعايش والوئام تحل محله؟"

تقييم احداث عام ١٩٣٧

إن من يستعرض الاحداث التي تعاقبت على "جبل لبنان" ثم على لبنان الكبير أو يتبصر في التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تتابعت منذ منتصف القرن التاسع عشر مستكشفاً القوى النابذة التي باعدت أو قربت بين ابناء هذه البقعة من الأرض قبل ان تصبح وطناً موحداً ودولة مستقلة يجد نفسه مضطراً الى التوغل بعيداً في التاريخ، ليصل الى القرن السابع (ظهور الاسلام والفتح العربي) أو إلى القرن السادس (ظهور المارونية وتدرجها الى جبل لبنان).

ولدى استعراض هذه الاحداث والتطورات ومجرى تنابذها يتوصل الانسان الى خلاصة اولى وهي انها أحداث وتطورات، كان من شأنها تبرير ولادة الميثاق الوطني وتبرير نقضه في آن واحد.

فالذين "قدسوا" الميثاق واعتبروه نهائياً يجدون في تاريخ لبنان أكثر من مبرر لموقفهم. كذلك الذين انتقدوا الميثاق أو انكروه.

ان تقييم الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣، يمكن ان ينظر اليه من زوايا مختلفة.

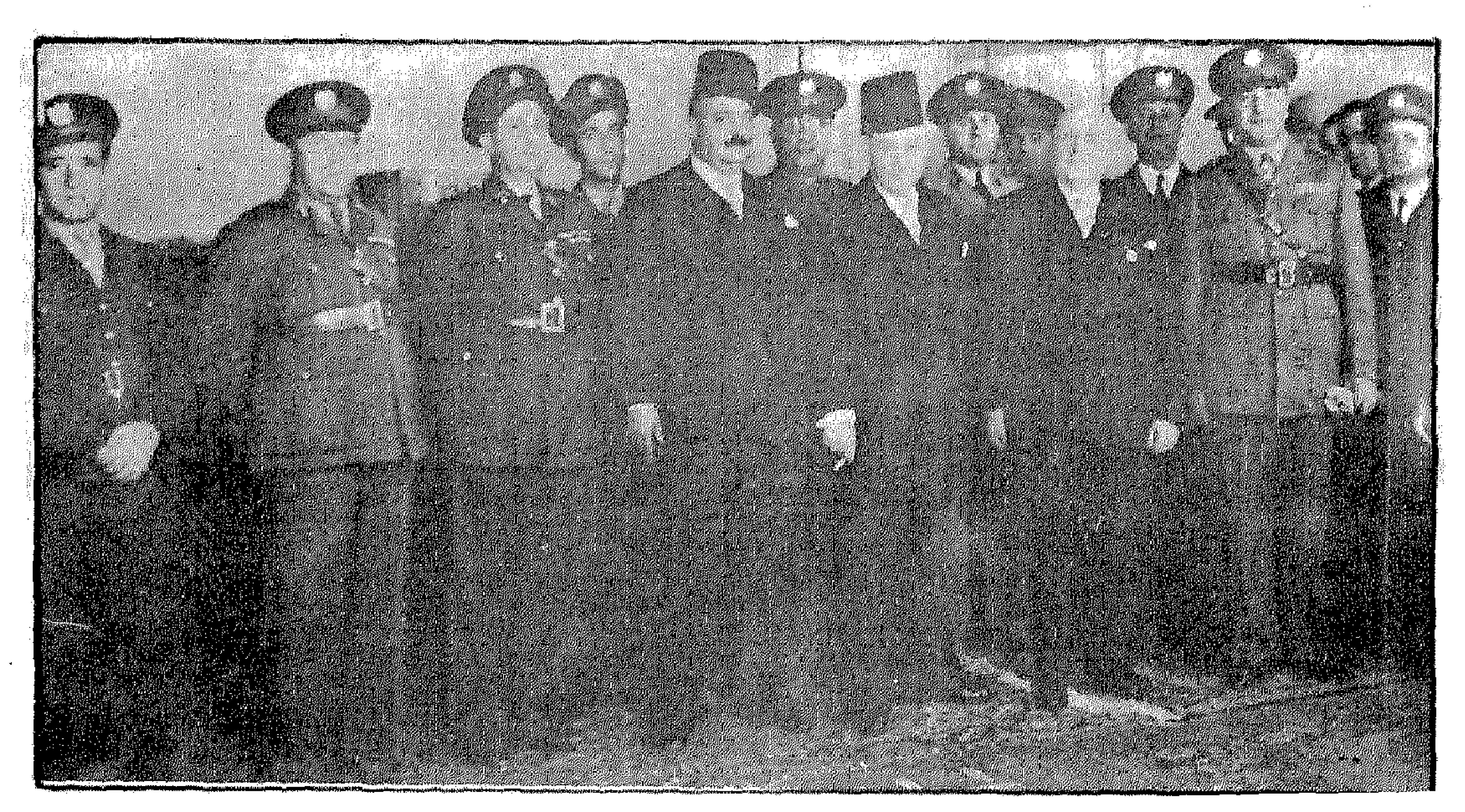
١ - النظرة التاريخية

يقول اصحاب هذه النظرة ان الميثاق الوطني هو "تجسيد لآمال ومعاناة اللبنانيين خلال قرون. فلقد ناضل اللبنانيون ضد العثمانيين في عهد الامارة المعنية والامارة الشهابية، ثم ناضل موارنة الجبل منذ مطلع القرن التاسع عشر وطوال عهد المتصرفية للحصول على مزيد من الحكم الذاتي والاستقلال كما ناضلوا لايجاد كيان وطني وسياسي. فكانت ولادة لبنان الكبير عام ١٩٢٠. ولم يكف السياسيون اللبنانيون اثناء عهد الانتداب عن المطالبة بالاستقلال التام. ولذلك فان بلوغ الاستقلال عام ١٩٤٣ جاء تتويجاً لهذا النضال الطويل من اجل انشاء وطن واستقلاله.

والجدير بالذكر ان "القوميين العرب" ايضاً يشاطرون "القوميين اللبنانيين" هذه النظرة التاريخية لاحداث ١٩٤٣ ولكن من منطلق مختلف. إذ يعتبرون الميثاق الوطني تتويجاً لنضالهم طوال ربع قرن ضد الانتداب الفرنسي. ولعل كمال جنبلاط اصاب في قوله: ان"الميثاق الوطني هو محور التأليف بين الفكرة العربية والفكرة اللبنانية".

٢ -النظرة الاقتصادية - الاجتماعية

اصحاب هذه النظرة من العقائديين، يقولون بان الميثاق هو النتيجة الطبيعية لتطور البنيات الاجتماعية ولارادة العيش المشترك، فالطائفية السياسية لم تكن موجودة في لبنان قبل القرن التاسع عشر. ولو كانت موجودة لما استطاع الموارنة الانتشار من شمالي لبنان الى جنوبه. ولما تقبل سكان المناطق الدرزية والشيعية الهجرة المسيحية. أما إرادة الاستقلال عن الاجنبي والتحرر السياسي فقد عبرت عنها عامية انطلياس (١٨٤٠) وثورة طانيوس شاهين في كسروان (١٨٥٨). وما اعدام الشهداء اللبنانيين في ٦ أيار ١٩١٧ وانتفاضة الشعب في تشرين ١٩٤٣، إلا دلائل على



■ في الصورة الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ومجيد ارسلان وحولهم بعض الضباط بينهم اللواء فؤاد شهاب واميل بستاني.

وجود الارادة الشعبية الداعية لحقها في الاستقلال.

القائلون بهذه النظرة يرون ان انتشار الوعي بين الفلاحين اللبنانيين في القرن التاسع عشر وتجارة الحرير مع فرنسا هما ما اديا الى خلق طبقة وسطى كان من مصلحتها ازالة حكم الاقطاع. كما ان نضال الطبقات البورجوازية دفاعاً عن مصالحها الاقتصادية ضد الفرنسيين هو ما ولد الضمير الوطني ووحد المسلمين والمسيحيين في جبهة نضال واحدة. كذلك وعي رجال الاعمال واصحاب المهن الحرة لما يوفره المجال الحيوي العربي من امكانيات هو ما حملهم على الاتفاق مع الحركة الوطنية العربية ضد الانتداب الفرنسي.

٣ ـ النظرة السياسية:

اصحاب هذه النظرة يقولون ان الميثاق الوطني وما حدث عام ١٩٤٣، لم يكن الا "تسوية" أو "صيغة سياسية" للتوصل الى الاستقلال، وهو لا يخرج عن كونه "صيغة التعاون" بين سياسيين ينتمون الى ايديولوجيتين مختلفتين.

يدعم اصحاب هذا التفسير السياسي مقولتهم هذه بحجج عديدة منها ان الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح لم يجتمعا ويتفقا الا في صيف ١٩٤٣، وان التباين العقائدي بين المسيحيين والمسلمين وبين "القوميين العرب" و"القوميين اللبنانيين" كان لا يزال قائماً بل ومحتدماً الى حد ما حتى اواسط عام ١٩٤٣.

يقول هؤلاء انه لو لم ينتخب الشيخ بشاره الخوري لرئاسة الجمهورية ويأت رياض الصلح الى رئاسة الوزراء لتغيرت سيرورة الاستقلال فتأخر سنتين او ثلاثاً. ويؤكد هؤلاء ان الاتفاق بحد ذاته، كان أقرب الى التسوية منه الى ايجاد قواعد واضحة. فالميثاق في نظر اصحاب النظرة السياسية كان مجموعة حلول وسطية بين العروبة واللبنانيين، بين الوحدة والحماية، بين الشرق والغرب، بين اماني المسلمين واماني المسيحيين.

إن من يستعرض الاحداث التي عاشها لبنان عام ١٩٤٣ لا يستطيع الا الاعتراف بأن السياسيين كانوا مضطرين الى الاتفاق على تسوية وطنية وسياسية لبلوغ الاستقلال الذي كانت الظروف الاقليمية والدولية مؤاتية له. كما كان من الطبيعي ان تكون التسوية مستوحاة من محاولات تأليفية وطنية جرت قبل ذلك واشترك في صياغتها مسلمون ومسيحيون، عروبيون ولبنانيون.

٤ ـ النظرة الطائفية

اصحاب هذه النظرة سواء كانوا ينتمون الى اليسار الماركسي أو إلى اليمين المسيحي، يقولون أن الميثاق كان "اتفاقاً طائفياً" أو "اتفاقاً يكرس الطائفية". فالشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح اتفقا على ابقاء دستور ١٩٢٦ ولاسيما المادة ٩٥ منه التي تكرس النظام الطائفي. كما انهما الفا أول حكومة استقلالية على أساس توزيع المقاعد الوزارية بين الطوائف الست الكبرى. وإن كل العهود التي تعاقبت بعد الاستقلال سارت على هذا المنوال.

بعض المعلقين على هذه النظرة الطائفية

LE GENERAL D'ARMÉE GEORGES CATROUX.

BEYROUTH, le 20 Novembre 1943

Monsieur le Président,

Mon dessein était de vous rendre à la liberté ainsi que vos compagnons d'internement Dimanche 2I courant.

Une complication subite et indépendante de ma volonté m'empêche, à mon vif regret, de donner suite à ce projet. Je pense cependant que votre libération ne subira qu'un léger retard.

Agréez, je vous prie, Monsieur le Président, l'expression de ma haute considération ./.

Catroux

S.E. le Président Béchara EL KHOURY

-:-

■ رسالة الجنرال كاترو الى الرئيس بشارة الخوري

يقولون ان الغاية الاساسية للميثاق كانت تقضي بتجاوز الطائفية يوماً (يستشهدون ببيان رياض الصلح الوزاري الذي ادان فيه الطائفية وتمنى الغاءها) ولكن رجال السياسة والاقطاع والبورجوازية الذين حكموا باسم الميثاق، قد طيّفوه باضافة التوازن الطائفي إلى محتواه، وذلك من اجل المحافظة على امتيازاتهم السياسية ومصالحهم الاقتصادية..

٥ ـ النظرة الشخصانية

هنالك اخيراً اصحاب النظرة الشخصانية، اي هؤلاء الذين يقولون بأن ميثاق ١٩٤٣ ليس الاّ اتفاقاً شفوياً شخصياً، تم بين الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح أو "كلمة شرف" اتفقا عليها، بعد وصولهما الى الحكم، واتفاقهما على بلوغ الاستقلال التام.

يستند اصحاب هذه النظرة الى ظروف لقاء الرجلين والاحاديث التي تبودلت بينهما، وإلى فشل الصيغة بعد تركهما الحكم. واستناداً الى تلك اللقاءات والاحاديث يمكن القول بأن سوريا كانت الطرف الثالث في ميثاق ١٩٤٣، باعتبار ان الشيخ بشاره الخوري اتفق مع الزعماء الاستقلاليين السوريين على الصيغة الوطنية للاستقلال اللبناني، وان رياض الصلح والزعماء المسلمين ما كانوا لينضموا الى هذه الصيغة لولا قبول الحركة الوطنية السورية بها.

إستناداً الى هذه النظرة الشخصانية للامور يمكن القول أيضاً بأن بشاره الخوري ورياض الصلح لم يبتكرا ميثاق ١٩٤٣ بل تبنيا صيغة كان قد اشترك في بلورتها واخراجها سياسيون ومفكرون آخرون قبلهم أبرزهم: ميشال زكور، يوسف السودا، عزيز الهاشم، كاظم الصلح.

خلاصة

حتى اواخر عام ١٩٤٣، لم تكن عبارة "الميثاق الوطني" قد لفظت. ولم ترد في الادب الرسمي أو السياسي إلاّ في عام ١٩٤٥ عندما اخذ الشيخ بشاره الخوري يرددها في خطبه اثناء الجولة التي قام بها في المناطق اللبنانية.

إلا ان ما اتفق عليه الشيخ بشاره الخوري ورياض الصلح في صيف ١٩٤٣ لبلوغ الاستقلال التام الناجز والتعاون مع الدول العربية وضع موضع التنفيذ ابتداء من عام ١٩٤٣ عندما عدل الدستور ودخل لبنان في جامعة الدول العربية ورفض عقد معاهدة مع فرنسا.

وفي عهد الشيخ بشاره الخوري، طبق هذا الاتفاق بدقة. فرفضت الدولة اللبنانية دخول الاحلاف العسكرية الغربية وحارب لبنان مع الدول العربية في فلسطين ورفض مشاريع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى.

والحقيقة ان ما حصل عام ١٩٤٣ لم يكن عملا بطولياً قام به رجلان ولا لعبة انكليزية، غايتها اخراج فرنسا من الشرق كما لم يكن تتويجاً لنضال اللبنانيين التاريخي من اجل الاستقلال والتحرر، ولا كان نتيجة طبيعية لتطور البنيات الاجتماعية والاقتصادية بل كان خلاصة كل هذه العوامل مشتركة أو على الاصح لعبت كل هذه العوامل والعناصر في تكوينه أو صيرورته

فبشاره الخوري ورياض الصلح كانا مؤهلين اكثر من غيرهما شخصياً ونفسانياً وسياسياً للقيام بهذا الدور، والسياسة البريطانية لم تكن تعكس أراء الجنرال سبيرس الخاصة بمقدار ما كانت تتلاءم مع مصالح الحلفاء قبيل انتهاء الحرب. ومنها أن تبلغ الدول العربية استقلالها وان توحد كلمتها في جبهة موالية للعرب.

كذلك لا يمكن اهمال التطور الاجتماعي والاقتصادي في لبنان خلال السنوات العشرين التي سبقت الاستقلال. والذي افرز اجيالا جديدة، ليس للاعتبارات الطائفية التأثير الاول على تفكيرها. ولا ريب ايضاً في ان الاستقلال كان امنية اقوى من ان تقاوم أو ترفض.

غير ان شكلية ما حدث عام ١٩٤٣، بدأت بعد الاستقلال. فما ان نعم اللبنانيون بهذا الاستقلال حتى وقع اخطر حدث عرفته هذه المنطقة منذ ٣ آلاف سنة الا وهو قيام دولة اسرائيلية ـ عنصرية، توسعية، يساندها الغرب على حدود لبنان. وتلى ذلك ظهور النفط العربي، كأهم مصدر للطاقة في العالم للنصف الثاني للقرن العشرين، الامر الذي حول الشرق الاوسط الى ميدان للحرب الباردة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية.

إن اسرائيل والنفط والصراع الاميركي ـ السوفياتي، جعلت الاستقلال اللبناني والميثاق الوطني اشبه بريشتين في مهب المصالح الدولية.

وكان ان تحول الاستقلال والميثاق من قاعدتين لبناء مستقبل الشعب اللبناني، الى وسيلتين لتفكيك وحدة لبنان شعباً وكياناً.

ولسوء الحظ، ساعد السياسيون اللبنانيون تلك القوى الخارجية في بلوغ غاياتها وما الحرب اللبنانية الحالية الا شاهد ودليل على ذلك.